

# منبر المحراب

(تذكير بأشهر النور وليلة الرغائب)

السنة الخامسة عشرة  
العدد ٨٩٠ - ١٠٢ / رجب / ١٤٣١ هـ  
الموافق ١٥ / حزيران / ٢٠١٠ م

## الإمامة في القرآن (إمامة النبي إبراهيم) شهادة الإمام الهادي عليه السلام

### محاور الموضوع الرئيسية:

- في رحاب الآية الكريمة.
- الفرق بين النبوة والإمامة و الرسالة.
- الإمامة آخر مراحل مسيرة إبراهيم التكاملية.

**الهدف:** التعرف على مفهوم الإمامة في القرآن من خلال إمامة النبي إبراهيم عليه السلام.

### تصدير الموضوع:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ<sup>(١)</sup>﴾.

(١) سورة البقرة، ١٢٤.

### ١- في رحاب الآية الكريمة:

- قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾. هذه الفقرة تشير إلى الاختبارات المتتالية التي اجتازها إبراهيم عليه السلام بنجاح، وتبين من خلالها مكانة إبراهيم وعظمته، وبعد أن اجتاز هذه الاختبارات بنجاح استحق أن يمنحه الله الوسام الكبير قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

وهنا تمنى إبراهيم عليه السلام أن يستمر خط الإمامة من بعده، وأن لا يبقى محصوراً بشخصه قال وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، لكن الله أجابه: قَالَ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وقد استجيب طلب إبراهيم عليه السلام في استمرار

خط الإمامة في ذريته، لكن هذا المقام لا يناله إلا الظاهرون من ذريته لا غيرهم.

- **من الظالم:** المقصود من «الظلم» في التعبير القرآني: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ لا يقتصر على ظلم الآخرين، بل الظلم (مقابل العدل)، وقد استعمل هنا بالمعنى الواسع للكلمة، ويقع في النقطة المقابلة للعدل: وهو وضع الشيء في محله. فالظلم إذن وضع الشخص أو العمل أو الشيء في غير مكانه المناسب. ولما كانت منزلة الإمامة والقيادة الظاهرية والباطنية للبشرية منزلة ذات مسؤوليات جسيمة هائلة عظيمة، فإن لحظة من الذنب والمعصية خلال العمر تسبب سلب لياقة هذه المنزلة عن الشخص. عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام، حتى قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، فَقَالَ اللَّهُ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، من عبد صنما أو وثناً لا يكون إماماً<sup>(١)</sup>.

- قوله تعالى: «بكلمات»: المقصود من الكلمات هو مجموعة المسؤوليات والمهام الثقيلة الصعبة التي وضعها الله على عاتق إبراهيم عليه السلام، فحملها وأحسن حملها، وأدى ما عليه خير أداء، وهي عبارة عن: أخذ ولده إلى المذبح والاستعداد للتام ذبحه، إطاعة لأمر الله سبحانه. وإسكان الزوج والولد في واد غير ذي زرع بمكة، النهوض بوجه عبدة الأصنام وتحطيم الأصنام، والوقوف ببطولة في تلك المحاكمة التاريخية، ثم اللقاء في وسط النيران. وثباته ورباطة جأشه في كل هذه المراحل، كان كل واحد

من هذه الاختبارات ثقيلاً وصعباً حقاً، لكنه بقوة إيمانه نجح فيها جميعاً، وأثبت لياقته لمقام «الإمامة»<sup>(٢)</sup>.

٢- **من هو الإمام:** يتبين من الآية الكريمة، أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم عليه السلام بعد كل هذه الاختبارات، تفوق منزلة النبوة والرسالة. ولتوضيح ذلك نقول: إن للإمامة معاني مختلفة:

- الإمامة بمعنى الرئاسة والزعامة في أمور الدنيا، (قال بذلك فريق من علماء أهل السنة).

- الإمامة بمعنى الرئاسة في أمور الدين والدنيا، (قال بذلك فريق آخر من علماء أهل السنة).

- الإمامة بمعنى تحقيق المناهج الدينية بما في ذلك منهج الحكم بالمعنى الواسع للحكومة، وإجراء الحدود وأحكام الله، وتطبيق العدالة الاجتماعية، وتربية الأفراد في محتوهم الداخلي وفي سلوكهم الخارجي. وهذه المنزلة أسمى من منزلة النبوة والرسالة، لأن منزلة النبوة والرسالة تقتصر على إبلاغ أوامر الله، والبيان والإنداز، أما الإمامة فتشمل مسؤوليات النبوة والرسالة إضافة إلى ما ذكر. ولا شك أن المراد من الإمامة في الآية التي نحن بصدد تفسيرها هو المعنى الثالث للإمامة، لأنه يستفاد من آيات متعددة أن مفهوم «الإمامة» ينطوي على مفهوم «الهداية»، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(٢) (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص: ٣٦٨).  
(٣) (السجدة، ٢٤).

(١) «أصول الكافي، ج ١، باب «طبقات الأنبياء والرسول» حديث ١»



## إليه يصعد الكلم الطيب

الكل على أنه استشهد في سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة وذهب المفيد في الإرشاد، والإربلي في كشف الغمّة، والطبرسي في إعلام الوري، إلى أنه قبض عليه في رجب، ولم يحدّدوا يومه.

**تجهيزه وحضور الخاصة والعامة لتشيعه:** ولما قضى نحبه تولّى تسليته وتكفينه والصلاة عليه ولده الإمام أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام وذلك لأن الإمام لا يتولّى أمره إلا الإمام، ولما انتشر خبر رحيله إلى الرقيق الأعلى حتّى هرعّت الجماهير من العامة والخاصة إلى دار الإمام عليه السلام وخيم على سماء جو من الحزن والحداد، قال المسعودي: وحدّثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنه دخل الدار وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبين والعبّاسيين، واجتمع خلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد عليه السلام ولا عرف خبرهم، إلا التقاه الذين نصّ أبو الحسن عليه السلام (عندهم) عليه، فحكوا أنهم كانوا في مصيبة وحيرة، فهم في ذلك إذ خرج من الدار الداخلة خادم فصاح بخادم آخر يا رياش خذ هذه الرقعة وامض بها إلى دار أمير المؤمنين وادفعها إلى فلان، وقل له: هذه رقعة الحسن بن علي. فاستشرف الناس لذلك، ثم فتح من صدر الرّواق باب وخرج خادم أسود، ثم خرج بعده أبو محمد عليه السلام... وجلس بين بابي الرّواق، والناس كلهم بين يديه، وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلما خرج عليه السلام وجلس أمسك الناس، فما كنّا نسمع شيئاً إلا العطسة والسعلة، ثم خرج خادم فوقف بجذاء أبي محمد فنهض عليه السلام، وأخرجت الجنازة، وخرج يمشي حتّى أخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بغا، وقد كان أبو محمد عليه السلام صليّ عليه قبل أن يخرج إلى الناس، وصليّ عليه لمّا أخرج المعتمد، ودفن في داره بسرّ من رأى.

من نافلة القول أن كثيرا من الأنبياء كنبّي الإسلام ﷺ حازوا على المنازل الثلاث، كانوا يستلمون الوحي، ويبلغون أوامر الله، ويسعون إلى إقامة الحكومة وتنفيذ الأحكام، وينهضون- بما لهم من تأثير روحي- بمهمة تربية النفوس.

**٤- الإمامة آخر مراحل مسيرة إبراهيم التكاملية:** بما تقدم يتضح أنه من الممكن أن تكون لشخص منزلة النبوة وتبليغ الرسالة، بينما لا تكون له منزلة الإمامة. وهذه المنزلة تحتاج إلى مؤهلات كثيرة في جميع المجالات. وهي المنزلة التي نالها إبراهيم عليه السلام بعد كل هذه الامتحانات والمواقف العظيمة، وكانت آخر مرحلة من مراحل مسيرته التكاملية.

خاصة وأن الإمام يجب أن يكون معيّناً من قبل الله سبحانه لأن: الإمامة ميثاق إلهي، وطبيعي أن يكون التعيين من قبل الله، لأنه طرف هذا الميثاق. ولأن الأفراد الذين تلبّسوا بعنوان الظلم، وما رسوا في حياتهم لحظة ظلم بحق أنفسهم أو بحق الآخرين، كأن تكون لحظة شرك مثلاً، لا يليقون للإمامة<sup>(١)</sup>.

**شهادة الإمام الهادي عليه السلام:** ظلّ الإمام الهادي عليه السلام يعاني من ظلم الحكام وجورهم حتّى دسّ إليه السمّ كما حدث لأبائه الطاهرين، وقد قال الإمام الحسن عليه السلام: ما منّا إلا مقتول أو مسموم، والصحيح أن المعتز هو الذي دسّ إليه السمّ وقتله به، التحقيق أنّه عليه السلام استشهد في أواخر ملك المعتزّ كما نصّ عليه غير واحد من المؤرّخين، وبما أن أمره كان بهمّ حاكم الوقت، وهو الذي يتولّى تدبير هذه الأمور كما هو الشأن، فإنّ المعتزّ أمر بذلك، ويمكن أنّه استعان بالمعتمد في دسّ السمّ إليه واتفق

(٢) (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص: ٢٧٢)

هذه الهداية لا تعني إراءة الطريق، لأن إبراهيم عليه السلام كانت له قبل ذلك مكانة<sup>(١)</sup> النبوة والرسالة، أي مكانة إراءة الطريق.

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: «إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتّخذ نبياً، وإنّ الله اتّخذ رسولا قبل أن يتّخذ رسولا، وإنّ الله اتّخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء، قال: إني جاعلك للناس إماماً قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون السّفيه إمام التّقي»<sup>(٢)</sup>.

**٣- الفرق بين النبوة والإمامة والرسالة:** يفهم من الآيات الكريمة والمأثور عن المعصومين، أن حملة المهمات من قبل الله تعالى لهم منازل مختلفة:

**١- منزلة النبوة:** أي استلام الوحي من الله، فالنبي هو الذي ينزل عليه الوحي، وما يستلمه من الوحي يعطيه للناس إن طلبوا منه ذلك.

**٢- منزلة الرسالة:** وهي منزلة إبلاغ الوحي، ونشر أحكام الله، وتربية الأفراد عن طريق التعليم والتوعية. فالرسول إذن هو المكلف بالسعي في دائرة مهمته لدعوة الناس إلى الله وتبليغ رسالته، وبذل الجهد لتغيير فكري عقائدي في مجتمعه.

**٣- منزلة الإمامة:** وهي منزلة قيادة البشرية، فالإمام يسعى إلى تطبيق أحكام الله عملياً عن طريق إقامة حكومة إلهية واستلام مقاليد الأمور اللازمة. وإن لم يستطع إقامة الدولة يسعى قدر طاقته في تنفيذ الأحكام.

(١) (الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١، ص: ٢٧٠).  
(٢) «أصول الكافي، ج ١، باب طبقات الأنبياء والرسول والأئمة، ص ١٢٣.